# سسيولوجيا نظرية الهوية

**ناديه عمر سريجي**
**باحثة دكتوراه**
**جامعة الملك عبد العزيز**
**nsaeedseraji@stu.kau.edu.sa**

**المستخلص.**

يرتبط التركيز المعاصر على أسئلة الهوية ارتباطًا وثيقًا بالتحول الاجتماعي والثقافي في التحليل الاجتماعي، ويثير هذا التركيز قضايا التمثيل والانعكاسية والبناء الرمزي التي تعتبر جوهرية في مجال علم الاجتماع حديثًا. وتوفر نظرية الهوية المبادئ والأسس التي تساهم في تفسير وتحليل المعاني والرموز المرتبطة بهويات الأفراد والمجتمعات التي تظهر أثناء التفاعل الاجتماعي، وتُمثل تجاربهم وخبراتهم في الحياة اليومية.

وتهدف المقالة الحالية إلى تقديم نموذج اجتماعي معرفي لنظرية الهوية، من خلال عرض الجذور النظرية لنظرية الهوية المستمدة من التفاعلية الرمزية، ومناقشة أهم مبادئ وأسس النظرية، كما تم استعراض المفاهيم الخاصة بها، وختامًا تم الخروج بمجموعة من الاستنتاجات المستخلصة من مناقشة النظرية. وقد توصلت النتائج إلى أن نظرية الهوية تساهم في فهم وتفسير وتحليل المعاني والرموز المتعلقة بخبرات وتجارب الأفراد المتغيرة في المجتمع المعاصر. فيما يتعلق بالأدوار والسلوكيات والهياكل الاجتماعية داخل المؤسسات الاجتماعية. كما توصلت النتائج إلى أن نظرية الهوية تسمح بالانتقال بمفهوم الهوية من التعريف المجرد إلى معايير ومحددات تسمح بتحديد وتصنيف الهوية كمتغير يمكن دراسته منهجيًا.

**Abstract.**

Contemporary focus on identity questions is closely linked to social and cultural transformation in social analysis, and this focus raises issues of representation, reflectivity and symbolic construction that are central to sociology. Identity theory provides principles and foundations that contribute to the interpretation and analysis of meanings and symbols associated with individuals' identities and societies that emerge during social interaction and represent their experiences and experiences in everyday life.

The current article aims to present a sociological cognitive model of identity theory, by presenting the theoretical roots of identity theory derived from symbolic interaction, discussing the most important principles and foundations of theory, reviewing its concepts, and concluding with a set of conclusions from the theory discussion. The findings found that identity theory contributes to understanding, interpreting and analysing the meanings and symbols of individuals' changing experiences and experiences in contemporary society. in relation to social roles, behaviours and structures within social institutions. The findings also found that identity theory allows the concept of identity to move from the abstract definition to criteria and determinants that allow identification and classification as a methodological variable.

# سسيولوجيا نظرية الهوية

**ناديه عمر سريجي**
**باحثة دكتوراه**
**جامعة الملك عبد العزيز**
**nsaeedseraji@stu.kau.edu.sa**

**المقدمة.**

يرتبط التركيز المعاصر على أسئلة الهوية ارتباطًا وثيقًا بالتحول الاجتماعي والثقافي في التحليل الاجتماعي، ويثير هذا التركيز قضايا التمثيل والانعكاسية والبناء الرمزي التي تعتبر جوهرية في مجال علم الاجتماع. وتوفر نظرية الهوية المبادئ والأسس التي تساهم في تفسير وتحليل المعاني والرموز المرتبطة بهويات الأفراد والمجتمع التي تظهر أثناء التفاعل الاجتماعي، وتُمثل تجاربهم وخبراتهم في الحياة اليومية.

ينظر عدد من علماء الاجتماع إلى الهويات باعتبارها مفهوم حاسم في أي محاولة لفهم المجتمع المعاصر، لأنها مشاريع اجتماعية في الأساس (Onyeibe, 2017). ومصطلح الهوية "Identity" ذو تاريخ طويل، مشتق من الجذر اللاتيني "Edem" الذي يدل على التوحد والاستمرارية، إلّا أنه أصبح متداولًا خلال القرن العشرين فقط، نتيجة خصوصية القرن الحالي وما عرفه من صراعات وتشظيات بين الشعوب وداخلها (كواسمي، 2014).

وبالرغم من أن علماء الاجتماع الأوائل نادرًا ما استعملوا هذه الفكرة إلا أن أعمالهم تضمنت بين ثناياها نظرية الهوية. وفي الفترة الأخيرة باتت هذه الفكرة تحتل قدرًا كبيرًا من الأهمية، فقد أثبتت نظريات ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة اتجاهًا مختلفًا، إذ اقترحت تلك النظريات أن غالبية الأفراد في المجتمعات المعاصرة لم يعد لهم معنى ثابت ومستقر للهوية، فهي تميل إلى التشظي والتجزئة على الدوام، وأن هويات الشعوب لها مظاهر مختلفة ومتعددة تتغير باستمرار وقد تحتوي على تباينات كبيرة أيضًا. فمثلًا

قد يتصرف الناس بطريقة ذكورية في بعض المواقف وبطرق أنثوية في أخرى، فمعنى الهوية الذكورية والأنثوية أصبح أقل وضوحًا، وتعددت أشكال الممارسات لكليهما تبعًا لذلك. وطِبقًا لهذه النظريات أيضًا فإن الأفراد ينشطون في خلق هوياتهم الخاصة، والتي لم تعد مختزلة في المجموعات الاجتماعية التي ينتسبون إليها فقط، فمثلًا يمكنهم أن يقرروا تغيير هوياتهم من خلال عمليات التسوق وأشكال الاستهلاك (هارلمبس وهولبورن، 2010).

يذكر "هول Hall" بأن الهوية في حالة دائمة من الصناعة المستمرة وأن موقع الفرد الاجتماعي وخبرته في حالة مستمرة من التغيير والتطور، وهذا يستلزم أن تكون الهوية كمفهوم مرتبطة بالأداء الاجتماعي والنوعي داخل السياق الاجتماعي ( Cifrić & Nikodem, 2006). كما يرى عماد (2019) بأن الهويات لا تتشكل من العدم أو الفراغ، بل هي سيرورة بنائية من المحددات التي تحتوي على العادات والأفكار والسلوكيات والتجارب التي يمر بها الفرد، ويتشارك فيها أفراد الجيل الواحد من المجتمع باعتبار الفرد عضوًا في جيل أو جماعة ما، ومن ثم تستقر هذه التجارب والقيم التي تُشكلها في الوعي الاجتماعي مشكّلة هوية الجيل والمجتمع وحاملة العديد من المحددات الأساسية، التي هي عبارة عن أبعاد وسمات تتحدد ضمن علاقات التماثل والاختلاف وتعكس ارتباط الفرد بالآخرين وتميزه عنهم في الوقت نفسه.

من ثم تهدف المقالة الحالية، إلى تقديم نموذجًا اجتماعيًا معرفيًا لنظرية الهوية، عبر تقديم مراجعة مبسطة لجذور النظرية، ومناقشة أهم مبادئها وأسسها، وكذلك استعراض مفاهيمها، ثم الاستنتاجات المتعلقة بالنظرية.

**الجذور النظرية لدراسة نظرية الهوية.**

ظهرت تيارات مختلفة وعديدة لدراسة الهوية تعود جذورها إلى تقاليد نظرية وما وراء نظرية، على سبيل المثال، تعود جذور معظم الأبحاث النفسية التنموية حول الهوية الشخصية" إلى نموذج "إريكسون Ericsson" للنمو النفسي الاجتماعي عام 1950، في

حين أن البحث الاجتماعي النفسي حول "الهوية الاجتماعية" يرتكز إلى حد كبير على أعمال "تاجفيل وتورنر Tajfel and Turner" عام 1986، من خلال التركيز على دور عمليات هوية المجموعة في العلاقات بين المجموعات. وينبع البحث في الجوانب الثقافية للهوية من مجموعة أصول مختلفة تمامًا، بما في ذلك التكيف الثقافي، والنسبية، ونماذج القيم إلى علماء النفس مثل "بيري وهوفستد Perry and Hofstede" عام 1980، وكذلك عمل علماء الأنثروبولوجيا مثل "غيرتز Gertz" عام 1975، و"هسو Hsu" عام 1985. ويمكن إرجاع الجذور الفكرية للمقاربات الاستطرادية للهوية إلى فلسفة "فيتجنشتاين Wittgenstein" في اللغة عام 1922، فضلًا عن الأفكار الأكثر حداثة من فلسفة ما بعد الحداثة، والنظرية الاجتماعية، ما بعد البنيوية، على سبيل المثال، "بومان Bauman" في 2000، و"فوكو Foucault" في 1972، و"ليوتارد Lyotard" في 1984 (Vignoles et al, 2011). كما أن نظرية الهوية، كتسمية داخلية للمعاني متجذرة في التقليد البنيوي للتفاعل الرمزي الذي ابتكره "ميد Mead" عام 1934 ([1980] Stryker, 2002 ؛ Stets et al, 2020). بالنظر إلى هذه الجذور المتباينة إلى حد كبير ظهرت الدراسات المختلفة المتعلقة بالهوية بشكل منفصل، واستمرت في التطور بشكل مستقل عن بعضها البعض، وحتى عندما يرغب أتباع مدارس فكرية معينة اتباع عمل مدرسة أخرى، غالبًا ما يجدون أنهم لا يتحدثون نفس اللغة.

تعد نظرية الهوية واحدة من أكثر التقاليد النظرية حيوية في علم الاجتماع، حيث بُنيت على تقليد التفاعل الرمزي الذي ابتكره ميد عام 1934، لفهم كيفية استمرار التفاعل الاجتماعي، مع التركيز على خصائص المواقف والفاعلين، وتمثل مدرسة "شيكاغو Chicago" التفاعل الرمزي التقليدي، وقد استخدمت التحليل النوعي والتفسيري للقاءات الاجتماعية الصغيرة. في الخمسينيات من القرن الماضي، بدأ متفاعلون رمزيون آخرون في توسيع نطاق التركيز التقليدي من التفاعل الجزئي إلى فهم دور البناء الاجتماعي في إعادة إنتاج أنماط التفاعل من خلال المواقف عبر الزمن، مع

التركيز على العلاقة المتبادلة بين الذات والمجتمع، حيث تؤثر المعاني المشتركة التي تم إنشاؤها في التفاعل مع الآخرين على السلوك الاجتماعي، ويمكن اختبار هذه التفسيرات المفترضة في بحث تجريبي منهجي. ساعدت هذه النسخة البنيوية للتفاعل الرمزي في تفسير كيفية تشكيل التفاعل للهياكل الاجتماعية، كتلك المتعلقة بالأسرة والعمل، والمؤسسات الدينية والتعليمية والسياسية، وعرفت باسم مدرسة "أيوا Iowa" واستخدمت مناهج كمية لفحص الذات. في أواخر الستينيات بدأ "سترايكر Stryker" في 1968، 1977، 1980 بتدوين المقدمات الهيكلية الاجتماعية للتفاعل الرمزي البنيوي، بعد صياغة سترايكر تطورت المقدمات الرئيسية لنظرية الهوية، التي صقلت ووسعت أفكار ميد الأصلية، من خلال التأكيد على أهمية السياق الهيكلي الاجتماعي في تشكيل الهوية، وهو ما عرف باسم مدرسة "انديانا Indiana " (Serpe et al, 2020).

تنبثق نظرية الهوية في علم الاجتماع من النموذج التفاعلي الرمزي الذي ابتكره ميد عام 1934 والذي يركز على العلاقة المتبادلة بين الذات والمجتمع، حيث تؤثر المعاني المشتركة التي تم إنشاؤها في التفاعل مع الآخرين على السلوك الاجتماعي، ويمكن اختبار هذه التفسيرات المفترضة في بحث تجريبي منهجي (Stryker & Burke, 2000).

**مبادئ وأسس نظرية الهوية.**

لنظرية الهوية عدة مبادئ مرتبطة بنظرية التفاعلية الرمزية أعاد سترايكر صياغتها بما يتناسب مع توجهه النظري حول الذات والأدوار الاجتماعية والسلوك والهياكل الاجتماعية والمعاني المرتبطة بهم، سيتم عرضها فيما يلي. حيث إنه وفقًا لسترايكر يمكن تحليل تفكير ميد من ثلاثة جوانب مترابطة: أولًا، يُظهر المجتمع القدرة على تطوير حلولًا مؤسسية لمشكلاته الاجتماعية عبر عمليات مستمرة، وبتطلب ذلك استجابة دائمة للتحديات الاجتماعية الجديدة التي تنشأ في البيئات الاجتماعية المتغيرة. ثانيًا، يتجلى العقل والذات كجوانب اجتماعية أساسية في جوهرهما ولا يمكن تجربتهما

إلا من خلال التواصل واستخدام الرموز الاجتماعية. وأخيرًا، يتم توفير نموذج الحياة الاجتماعية الكامن وراء فكر ميد من خلال المنهج العلمي، ويتم تشكيل الفاعل الاجتماعي على غرار العالِم الذي يجري تجربة (Serpe & Stryker, 2011).

**1- الأدوار الاجتماعية والمعاني المرتبطة بها في نظرية الهوية.**

في نظرية الهوية المستمدة من الإطار التفاعلي الرمزي البنيوي، يُعتبر المفهوم الرئيسي هو الذات، والتي تُفهم عادةً على أنها تتألف من مجموعة من الأدوار الاجتماعية والهويات المتعددة، ويتمثل التحديد المفاهيمي لهذه الأدوار داخل الهيكل الاجتماعي في التوقعات والمعاني المشتركة، يستجيب لمبدأ ميد الذي تم تطويره وتفعيله في علاقات متنوعة قائمة على الأدوار، على سبيل المثال؛ الوالدين والابن، والمعلم والطالب، صاحب العمل والموظف. وتعكس العلاقات المتبادلة المعقدة والمتباينة والمنظمة في أنماط متكررة، والقائمة على الأدوار التي تربط البنية الاجتماعية بالأفراد في التفاعل الاجتماعي شكل ومحتوى الذات، وعندما يستوعب الأفراد المعاني والتوقعات المستندة إلى الأدوار المرتبطة بعلاقاتهم الاجتماعية، تصبح هذه المعاني والتوقعات أساسًا للهويات الموجودة داخل الذات. كما تُعتبر الهويات محددات للسلوك الاجتماعي، ولكن يُنظر إلى الرابط بين الهويات والسلوك على أنه مُيسّر ومقيّد في الوقت نفسه، وظهرت نظرية الهوية من هذه الحجج كتفسير للاختلافات في سلوك اختيار الدور ( Serpe & Stryker, 2011؛ Serpe et al, 2020). مما يعني أن سترايكر ينظر إلى الهوية على أنها ملتقى للأدوار المختلفة التي يلعبها الفرد، ويصف كيف تُلزم السمات الخاصة للبنية الاجتماعية الأفراد بهويات أدوار معينة، والتي بدورها تؤدي إلى سلوك متطابق مع الأدوار في البيئات الاجتماعية المختلفة.

على هذا الأساس؛ عرّف منظرو الهوية؛ الهوية باستمرار على أنها مجموعة داخلية من المعاني المشتركة التي توفر توقعات مشتركة للأفراد في الأدوار الاجتماعية. وتوفر نظرية الهوية إطارًا لفهم كيف ولماذا ترتبط المعاني والتوقعات بالهويات، وإطارًا

لفهم الآليات التي يتفاوض الأفراد من خلالها لإدارة هوياتهم أثناء التفاعل الاجتماعي، وكيفية ارتباطها بأداء الدور، ولدراسة تجارب الأفراد في الحياة اليومية كذلك، غالبًا ما يستخدم منظرو الهوية هذا الإطار لطرح الأسئلة البحثية والإجابة عليها ( Stets & Serpe, 2013). على سبيل المثال، المعاني المبنية اجتماعيًا للأبوة في المجتمع الكوبي الأمريكي في ميامي عام 2010، هي نفس المعاني التي يحملها رجل أمريكي كوبي يعيش في ميامي ويتوقع طفلًا عام 2010 عندما يصبح أبًا، قد ينشئ الفرد نسخة مخصصة لما يعنيه أن يكون أبًا، وربما يساهم في تحويل نطاق المعاني المقبولة داخل بيئته الثقافية المحلية أو الأوسع، لكنه لا يستطيع الهروب من هذه المعاني تمامًا (Vignoles et al, 2011).

**2- السلوك والمعاني المرتبطة به في نظرية الهوية.**

من مفاهيم نظرية الهوية، النظر إلى الرابط بين الهوية والسلوك من خلال الاهتمام بالمعاني المشتركة بينهما. لذلك، ينبغي دراسة المعاني التي تتضمنها الهوية وتصنيفها في مجموعة من الأبعاد، بهدف اكتشاف التناقضات الثنائية في كل جانب والاستفادة منها في قياس المعاني المتعلقة بالهوية، على سبيل المثال، على سبيل المثال، البعد الخُلقي للشخصية يُدرس من خلال محورين فنقول مثلًا، يقع بين ثنائية الخوف والشجاعة، والضعف والقوة، ويفيد هذا التحديد في قياس المعنى المرتبط بالسلوك. وعادة ما يتم ربط الهويات بالمجموعات التي يتم استيعاب معانيها المشتركة، والتي توجد عبر مواقف متعددة. ووفقًا لذلك فإن للهويات سلوكيات تعبر عنها، وذلك أن الهويات هي معاني ذاتية، وهذه المعاني تتطور في سياق معاني الأدوار والأدوار المضادة، ومن منظور تفاعلي رمزي يمكن وصف السلوكيات بأنها ذات مغزى أيضًا ( Stryker & Burke, 2000). وحسب Stryker ([1980] 2002) أدت هذه الاعتبارات إلى بحث نظرية الهوية عن إجابة للسؤال الجوهري، لماذا يختار الفرد سياق محدد من

الأفعال دون الآخر، ولماذا يختار خيارات سلوكية متوافقة مع مجموعة أو أكثر، من توقعات الأدوار المرتبطة بموضع أو أكثر في شبكة العلاقات الاجتماعية.

**3- الهياكل الاجتماعية في نظرية الهوية.**

يتبنى ستريكر منظورًا متناغمًا في علم الاجتماع الحديث، حيث ينظر إلى المجتمع كما لو كان فسيفساء من التفاعلات والعلاقات الدائمة نسبيًا، مختلفة لكنها منظمة، ومكونة من مجموعات منخرطة في المنظمات، والمجتمعات، والمؤسسات، وتتقاطع مع الحدود المُتماسة والمتداخلة للطبقة، والعرق، والعمر، والجنس، والدين، وغير ذلك. كما أكد أن الالتزام هو أبرز مواصفات المجتمع، حيث يميل الأفراد إلى العيش في شبكات اجتماعية تضم مجموعات خاصة، ويشير الالتزام إلى الدرجة التي تعتمد بها علاقات الأشخاص مع الآخرين في شبكاتهم على امتلاك هوية ودور معينين، حيث يميل الأفراد إلى الانضمام لشبكات اجتماعية تضم مجموعات خاصة تمثلهم، على سبيل المثال أثبت بحث ستريكر وسيرب عام 1987 أنه عند دخول الطلبة إلى الجامعة، فإنهم يبحثون عن علاقات جديدة من خلال الانضمام إلى التنظيمات التي توفر فرصًا للتفاعل وفقًا للهويات البارزة جدًا لديهم قبل التحاقهم بالجامعة. بمعنى أنه يُنظر إلى الأفراد على أنهم يعيشون حياتهم في شبكات اجتماعية، من خلال الأدوار التي تدعم مشاركتهم في مثل هذه الشبكات، وينطوي دمج التفاعلات والعلاقات المبنية على حجة تفاعلية رمزية هيكلية، بحيث يتأثر الانضمام إلى شبكات اجتماعية مترابطة وغير مترابطة يعيش فيها الأفراد حياتهم بهياكل اجتماعية أكبر تكون هذه الشبكات مُدمجة فيها، أي أن الهياكل الاجتماعية تعمل كحدود تؤثر على احتمال دخول الأشخاص إلى شبكات اجتماعية معينة (Stryker & Burke, 2000).

في هذا السياق أكد ستريكر على أهمية السياق الهيكلي الاجتماعي في تشكيل الهوية، والتي ينظر إليها على أنها ملتقى للأدوار المختلفة التي يلعبها الفرد، ويصف كيف تُلزم السمات الخاصة للبناء الاجتماعي الأفراد بهويات أدوار معينة، والتي بدورها

تؤدي إلى سلوك متطابق مع الأدوار في البيئات الاجتماعية، على سبيل المثال دراسة الهوية في العلاقات الأسرية، وغيرها من السياقات (Vignoles et al, 2011). من هذا المنظور يمكن للهياكل الاجتماعية الكبيرة، أن تمنح الأفراد هوية جماعية استنادًا إلى موقعهم الاجتماعي، والمعاني المرتبطة بسمات طبقية معينة. ويمكن للهياكل الاجتماعية الوسيطة وهي شبكات محلية أن تخلق حدودًا اجتماعية مهمة، وأن تزيد أو تقلل من احتمال تكوين أنواع معينة من العلاقات الاجتماعية، على سبيل المثال؛ الأحياء، والجمعيات، والمنظمات. والهياكل الاجتماعية المقربة تُزود الأشخاص بعلاقات اجتماعية تُعزى مباشرة إلى هوية دور محددة، مع تفعيل هذا الدور، كما أنها توفر الوصول إلى الآخرين الذين لديهم هويات مضادة (Stets & Serpe, 2013). إذ أن الفرضية الأساسية في مجال علم الاجتماع هي أن الهياكل الاجتماعية تعمل كحدود اجتماعية في معظم المجتمعات، ونجد عمليات نظرية الهوية تنشأ ضمن هذه الهياكل الاجتماعية المتداخلة. تتألف هذه الهياكل من مجموعة متنوعة من العناصر، بما في ذلك الأدوار الاجتماعية، والمجموعات المرجعية، وشبكات العلاقات المنظمة بين الأفراد، مصحوبة بمجموعات من التوقعات السلوكية النمطية التي تُوجه التفاعلات بين الأفراد والسياقات (Robinson, 2000).

بناءً على ما سبق يؤكد سترايكر بأن هناك مطلبين أساسيين لوجود الهويات، الأول هو أن الأفراد يجب أن يعتبروا أنفسهم في وضع اجتماعي معين، ويجب أن يراهم الآخرون وفقًا لهذا الوضع. والثاني، هو استيعاب الأفراد لمعاني هذه التعيينات الموضعية، بمعنى آخر، ويجب على الأفراد فهم أن الهويات تتألف من معاني وتوقعات مشتركة، وهي تشكل جزءًا من الإطار المعرفي الذي يؤثر على العمليات الذهنية والمفاهيم المتعلقة بالذات، ويحدد المخطط المعرفي للمعاني الداخلية الأفراد داخل علاقات اجتماعية منظمة، فالهويات ليست محددة بالموقف، ولكنها موجودة عبر مواقف

متعددة، على سبيل المثال؛ هوية الدور هي مجموعة من المعاني والتوقعات المرتبطة بالمواقع العلائقية في البنية الاجتماعية (Serpe et al, 2020).

يفترض أيضًا وجود ثلاثة أنماط للهوية. هويات أدوار تعتمد على المعاني المرتبطة بالأدوار التي يشغلها الأفراد في سياق العلاقات الاجتماعية داخل مؤسسات مختلفة، مثل دور الوالدين والأبناء في الأسرة، أو دور أصحاب العمل والموظفين في بيئة العمل. بينما تقوم الهويات الجماعية على معاني مرتبطة بالانتماء إلى مجموعات معينة في المجتمع، مثل انتماء الفرد لجمعية مهنية محددة أو مجموعة مجتمعية محددة. وأما الهويات الشخصية، فتعتمد على المعاني المرتبطة بالخصائص الفردية الفريدة التي تميز كل فرد عن الآخرين، مثل كون الشخص موسيقيًا، أو عاملًا مجتهدًا، أو لطيفًا ورحيمًا، أو عدوانيًا (Burke & Stets, 2009، Stets & Serpe, 2013).

وتفترض نظرية الهوية ارتباطًا أساسيًا بين تطوير الهويات وسنّها وتغييرها، وبين التنوع والتمايز اللذين يميزان الهياكل الاجتماعية التي تشكل الحياة اليومية، وتساهم في تشكيل الهوية كذلك (Serpe et al, 2020). كما تفترض بأن تباين الثقافات بين شركاء التفاعل الاجتماعي يساهم في تشكيل معنى التفاعل الاجتماعي، وفي التأثير على ديناميكيات الهوية والسلوك، وتستند النظرية والبحوث المعاصرة حول عمليات الهوية على أساس دمج مفهوم الآخر في فهمنا للهوية وفي تشكيل التشريع السلوكي للهويات، من خلال وجود الآخرين وأفعال الآخرين ومحتوى هويات الآخرين Robinson et al, 2020).

**مفاهيم نظرية الهوية.**

لنظرية الهوية عدة مفاهيم، وهي كالتالي حسب ما ذكره Serpe & Stets (2013):

- **الهوية.**

تشير إلى مجموعة من المعاني المرتبطة بالأدوار التي يشغلها الأفراد في البنية الاجتماعية، والمرتبطة بالجماعات التي يتعرفون عليها وينتمون إليها (هويات

المجموعة)، وبالطرق الفريدة التي يرون أنفسهم من خلالها (هويات الأشخاص)، والمعاني هي استجابات الأفراد في دور أو هوية اجتماعية أو شخصية.

- **معيار الهوية.**

أي المصفوفات الثقافية التي يحملها الفرد وتحدد هويته أو دوره في موقف ما، وهي كذلك تصورات الفرد للمعاني داخل الموقف ومطابقة أبعاد المعنى مع معيار الهوية، علاوة على المقارنة أو الآلية التي تقارن المعاني الظرفية المتصورة مع تلك الموجودة في معيار الهوية وسلوك الفرد أو نشاطه، وهو دالة على الاختلاف بين التصورات والمعيار (Serpe & Stryker, 2011).

- **التحقق من الهوية.**

هو إدراك الأفراد بأن الآخرين يرونهم في موقف ما بنفس الطريقة التي يرون بها أنفسهم، ويتم التحقق من الهوية من خلال خمس مكونات: الأول، الميول الذاتية التي يربطها الأفراد بهوياتهم. الثاني، المدخلات الإدراكية للمعاني المتعلقة بالذات في موقف ما، المعروفة باسم التقييمات الانعكاسية، أي كيف يرى الأفراد أنفسهم، وردود الفعل التي تلقوها من الآخرين. الثالث، عملية مقارنة معاني المدخلات الحسية بمعاني معيار الهوية. الرابع، العاطفة وعادة ما ينتج عن التطابق في المعاني عاطفة إيجابية بينما ينتج عن عدم التطابق في المعاني مشاعر سلبية. الخامس، دور البيئة في شكل سلوك يحمل معنى، أخيرًا عندما تتوافق المدخلات مع المعيار يحصل التحقق من الهوية.

- **بروز الهوية.**

بالنظر إلى الأفراد الذين لديهم هويات متعددة، يتم تعريف بروز الهوية بأنه احتمال أن يستدعي المرء هوية محددة من خلال المواقف عبر الفعل اللفظي أو السلوكي، ويعتمد بروز الهوية على مدى التزام الفرد بهوية البناء الاجتماعي لأنه يشير إلى الارتباط بشبكات اجتماعية معينة، فعندما تعتمد علاقة فرد ما بمجموعة معينة من الأفراد الآخرين على التمسك بهوية معينة، ستكون تلك الهوية بارزة، على سبيل المثال

من غير المرجح أن يطور الفرد الذي يملك تعليمًا أقل علاقات اجتماعية قوية مع أفراد ذوي تعليم أعلى منه (Thoits, 2020). وحسب Spears (2011) فإن بروز الهوية هو التنميط الاجتماعي وهي عملية وظيفية عقلانية وقابلة للتكيف، تعكس الواقع الاجتماعي على مستوى المجموعة، تأخذ الأبعاد الملائمة لفهم المواقف المختلفة التي تظهر في السياق.

**الالتزام بالهوية.**

هو موقف الناس في شبكة من العلاقات الاجتماعية، وللالتزام بعدين، بُعد تفاعلي وعاطفي يعكس اتساع وشدة روابط الشبكة، ويتكون الالتزام التفاعلي الذي يتميز بأنه مؤشر كمي يتكون من عدد الأفراد الذين يتفاعل معهم الفرد نتيجة الاحتفاظ بهوية معينة وعدد التفاعلات مع هؤلاء الأفراد، ويزداد الالتزام بالهوية مع زيادة حجم الشبكة الاجتماعية وزيادة عدد التفاعلات الاجتماعية مع أعضاء الشبكة الاجتماعية، ويتكون الالتزام العاطفي الذي يتميز بأنه مؤشر نوعي من تجارب الأفراد عند التفاعل مع الآخرين، أي التقييمات الانعكاسية فيما يتعلق بسلوكهم داخل الهوية، وكلما زاد الالتزام بالهوية زاد بروز الهوية (Thoits, 2020).

على سبيل المثال، درس الباحثون كيف أثر الالتزام وبروز الهوية الدينية على الوقت الذي يقضيه المرء في الأنشطة الدينية. وأثر الالتزام وبروز الهوية البيئية بالاهتمام بالبيئة واتخاذ إجراءات لحماية البيئة. إن الهدف من قياس معاني الهوية هو تحديد المستوى الحالي الذي يتم عنده تعيين معاني الأفراد للقيام بذلك، لذا يجب أولًا الحصول على المعاني الموجودة في المجتمع الذي يتم أخذ العينة منه، يتضمن هذا سؤال المستجيبين عن المعاني المهمة وذات الصلة بالنسبة لأنفسهم، لا يُفهم المعنى بالمعنى المطلق، بل بمعنى نسبي، ما يعنيه الادعاء بهوية معينة يُفهم دائمًا فيما يتعلق بنقيضه (Stets & Serpe, 2013).

**بروز الهوية.**

يشير بروز الهوية إلى مدى أهمية مكونات مفهوم الهويات للأفراد والمجموعات، الهوية ذات الأهمية لدى الفرد والمجموعات لها مركزية أكبر، ويتم مفهوم التسلسل الهرمي البارز لتمثيل تنظيم وتنظيم الهويات من الأعلى إلى الأدنى أهمية، لتمييز الرغبات والقيم، والانعكاسية، يتم قياس كل من البروز بالاعتماد على السلوك المحتمل، بينما يتم قياس المركزية / البروز بالاعتماد على الأهمية الداخلية للهوية، ركز Stryker & Serpe (1994)على العلاقة بين البروز والمركزية / البروز، وجد أن بعض الهويات يمكن أن تكون بارزة ومركزية على سبيل المثال ، هويات الأدوار الرياضية والترفيهية وغير المنهجية، بينما يمكن أن تكون الهويات الأخرى بارزة ولكنها ليست مركزية على سبيل المثال، هويات دور المشاركة الأكاديمية والشخصية، وبالتالي تظهر استقلاليتها.

**موارد الهوية.**

الموارد هي كل ما يدعم أو يعزز نظام التفاعل والأفراد المرتبطين به، وقام منظرو الهوية بتفعيل ثلاثة أنواع من الموارد: الهيكلية والعلائقية والشخصية، وكلما زاد استخدام الشخص لهذه الموارد، زادت سهولة التحقق من الهوية. الموارد الهيكلية وهي تلك العمليات التي تتيح للأفراد تأثيرًا على البنية الاجتماعية وبالتالي التفاعلات، على سبيل المثال، الحالة المهنية للفرد. الموارد العلائقية وهي تلك العمليات التي تنشأ من العلاقات، على سبيل المثال، أخذ دور الآخر. الموارد الشخصية وهي معتقدات وأبعاد ذات الفرد مثل الجدارة والكفاءة التي تسهل التحقق من الهوية.

**التصنيف الذاتي.**

يعتبر التصنيف الذاتي وثيق الصلة بتشكيل هوية الفرد، حيث يعتمد التصنيف على عالم مُسمى ومصنف، فداخل كل ثقافة هناك رموز تستخدم لتعيين المواقف - المكونات المورفولوجية - المستقرة نسبيًا في البنية الاجتماعية والتي يطلق عليها الأدوار، تستدعي

هذه التسمية المعاني في شكل توقعات فيما يتعلق بسلوكيات الفرد وسلوكيات الآخرين، في نظرية الهوية يتمثل جوهر الهوية في تصنيف الذات على أنها حدث لدور ما، ودمج المعاني والتوقعات المرتبطة بهذا الدور وأدائه، وتشكل هذه التوقعات والمعاني مجموعة من المعايير التي توجه السلوك، بمعنى تكوين الهويات من حيث التعريف بالعضوية في مجموعات أو أدوار معينة، وإبراز أوجه التشابه المتصورة بين أعضاء المجموعة، وإبراز الفروق الملحوظة بين أعضاء المجموعة الخارجية، يحدث هذا التشديد لجميع المواقف والمعتقدات والقيم، وردود الفعل العاطفية، والمعايير السلوكية، وأنماط الكلام، وغيرها من الخصائص التي يعتقد أنها مرتبطة بالتصنيف بين المجموعات ذات الصلة، نتيجة عملية المقارنة الاجتماعية، ويعتبر التنميط الاجتماعي والتصورات النمطية أساسيًا بين النتائج المعرفية، عند أعضاء المجموعة وأعضاء المجموعة الخارجية، على سبيل المثال، فإن الأفراد الذين يستخدمون تسمية المجموعة لوصف أنفسهم يتشاركون نفس الثقافة والتفكير الجماعي والسلوك لتمييز أنفسهم عن المجموعة الخارجية ( Stets & Burke, 2000).

**المقارنة بين الهويات.**

تتشكل الهويات بالمقارنة مع هويات الآخرين وعلى النقيض منها، كما صاغ منظرو الدور مفهوم الدور المضاد لتأكيد الفكرة القائلة بأن دور الطبيب يتطلب دور المريض لتحقيقه، ولفهم هوية طالب فمن الضرورة فهم هوية دور المعلم، كما تكتسب أيضًا هوية الطالب الجامعي معنى من خلال المقارنة مع أولئك الذين يسنون هويات بديلة ذات صلة على سبيل المثال طلاب الثانوية (Robinson et al, 2020).

مفهوم المقارنة الاجتماعية كان متداولًا بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع، فقد تحدث الأفلاطونيون عن فهم الذات النابع من المقارنة مع المعايير المطلقة، وأرسطو كان مهتمًا بالمقارنات الأخلاقية بين الناس، ويمكن رؤية المقارنات في أخلاقيات بنثام النفعية، وخطاب روسو حول عدم المساواة الاجتماعية، ونقد كانط للتفكير الأخلاقي، وأظهر

كارل ماركس أنه كان مدركًا تمامًا لقوة المقارنات الاجتماعية في ملاحظته، ومع ذلك، فإن المقارنات مع الآخرين ودورهم في الرفاهية الذاتية شوهد لأول مرة في نهاية القرن الماضي وازدهر في المائة عام الماضية، وهو ما كان واضحًا في كتابات كولي في 1902، وجيمس في 1890، وميد في 1934.

ما هو النمط الذي تتخذه عملية المقارنة الاجتماعية؟ الحياة الاجتماعية اليومية مليئة بآراء معقدة تمثل مزيجًا من عناصر المعتقدات والقيم، ويمكن فهم الاختلافات بشكل أفضل على أنها دالة للسياقات الاجتماعية بدلاً من الاختلافات الشخصية، تماشيًا مع تركيز نظرية الهوية على دور السياق الاجتماعي في تحديد السلوك، ترى نظرية الهوية أن المقارنة الاجتماعية أساسية لكل المعرفة البشرية، فالسياقات بين المجموعات في تدفق مستمر للتغير الاجتماعي، والناس بحاجة إلى فهم أسباب هذه التغيرات للتعامل مع الوضع المتغير، والحفاظ على سلامة صورة الذات، والقدرة على تحليل الوظائف الاجتماعية للصور النمطية، على الرغم من أن حجر الزاوية في نظرية الهوية هو العلاقات المقارنة الموجودة بين المجموعات، من خلال عملية التصنيف الذاتي الاجتماعي التي تدعم ظواهر الهوية، تركز نظرية الهوية في الأصل بشكل أساسي على الظواهر المشتركة والمقارنة الاجتماعية بين المجموعات، التي اعتبرت مدفوعة بشكل أساسي بمخاوف تعزيز الذات والتميز الإيجابي واحترام الذات، كما أن المقارنات الاجتماعية بين المجموعات تبلور وترسم العلاقات الهيكلية بين المجموعات، وتحدد الاتفاقات والخلافات الاجتماعية حدود الفئات الاجتماعية، وبالتالي تنتج نموذجًا أوليًا واضحًا ومتميزًا للمجموعة Suls & (Wheeler, 2013)، ومن خلال عملية المقارنة الاجتماعية يتم تصنيف الأشخاص الذين يشبهون بعضهم البعض ضمن المجموعة، الأشخاص الذين يختلفون يتم تصنيفهم على أنهم مجموعة خارجية (Stets & Burke, 2000).

**استنتاجات.**

- حسب نظرية الهوية في علم الاجتماع من الممكن دراسة الهوية وتمثّلاتها، التي تترجم كافة إشكاليات المجتمع الحديث والتحولات التي تمس كافة جوانبه، والتي تعكس جميع المعتقدات والتوجهات التي يتبناها الأفراد لبناء مجتمعهم والتفاعل فيه، من خلال الأدوار والعلاقات والسلوكيات، وضمن الهياكل الاجتماعية كذلك.
- من ذلك اعتبار اجتماع الأفراد داخل شبكة علاقات اجتماعية معينة والذين يتشاركون الخبرات والتجارب المشتركة معًا، ضمن تفاعل اجتماعي متكرر، يعكس المعاني والسلوكيات المشتركة التي تؤدي إليها الخبرات والتجارب، وعندما يستوعب الأفراد هذه المعاني المتعلقة بتلك الخيرات التجارب المشتركة يُشكلون هوية جماعية تقوم على المشاركة النشطة في أنشطة معينة كتلك التي تتعلق بالأدوار داخب الأسرة، أو الانتماء الديني والمهني، وما إلى ذلك.
- وباعتبار الهويات مجموعة من المعاني، يمكن عدّها طرق للتفكير أو للحديث أو وجهات النظر، تبرز في سياقات اجتماعية وتاريخية معينة بصرف النظر عن منظور أي فرد، ويتم إنشاؤها وتأسيسها من خلال الخطاب الاجتماعي الذي يمكن من خلاله مناقشة هذه المعاني وتفكيكها، على سبيل المثال، المعاني المبنية اجتماعيًا للأبوة في مجتمع ما في زمن ما، هي نفس المعاني التي يحملها رجل يعيش في نفس المجتمع والزمان ويتوقع قدوم طفلًا له. وقد ينشئ الفرد مفهومًا خاصًا لمعنى أن يكون أبًا، وربما يساهم في تحويل نطاق المعاني المقبولة داخل بيئته الثقافية المحلية أو الأوسع، لكنه لا يستطيع الهروب من هذه المعاني تمامًا.
- حسب مفاهيم نظرية الهوية؛ فإن الهوية عملية استطرادية تحدث في مناسبات تفاعلية محددة، وتُنتج هويات جماعية، بدلاً من البنى الفردية المتجانسة، فهي لا تنبثق من الفرد، ولكنها تَنتج من عمليات التفاوض داخل السياق الاجتماعي، وهذه العملية هي التي تهم البنائي الاجتماعي، وعلى ذلك فالهوية ليست متأصلة في الفرد منذ ولادته،

بل يمكن بناؤها وتفكيكها، من خلال عملية التفاعل أو الحوار الذي يتم في أنشطة الحياة اليومية. على ذلك فإن البناء الاجتماعي عند تحليل الهوية هو المنظور الأكثر عمومية، لأنه يوفر طريقة أساسية للتفكير فيها وفهم العالم الاجتماعي، من خلال شرح الأدوار التي تلعبها مثلًا، اللغة والثقافة والخطاب والمعرفة في تشكيلها.

- حسب نظرية الهوية يمكن اعتبار الهوية ذات مستويات سائلة، إذ أنها تُعد متعددة الأوجه وقابلة للتغير، بمعنى أن الأفراد يمكنهم امتلاك العديد من الهويات المتعارضة في نفس الوقت، ويمكن أن تؤثر هذه الهويات على آراء وأدوار وسلوكيات الفرد، علاوة على إمكانية تغير المعنى الذي يخص تصنيف هوية معينة بمرور الوقت واختلاف السياق الاجتماعي والنظم الاجتماعية والتقنية والتي هي في الأساس متغيرة وغير مستقرة، على سبيل المثال، لا يمتلك المعلمون هوية مهنية فحسب، بل يمتلكون هوية جنسانية أيضًا. بمعنى أنها تتشكل وتتعدل في سياق الممارسات والثقافات والمؤسسات المتغيرة، وفي المقابل يمكن للهويات أن تلعب دورًا في تشكيل الممارسات والثقافات والمؤسسات المتغيرة.

## المراجع

عماد، عبد الغني. (2019). *سوسيولوجيا الهوية: جدليات الوعي، والتفكك وإعادة البناء*. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

كواسمي، مريم. (2014). إشكالية الهوية والعولمة بين رهانات الماضي وتحديات المستقبل، *مجلة الدراسات اللغوية - جامعة القسنطينة*، (1)10، 47-66.

هارلمبس وهولبورن. (2010). *سوسيولوجيا الثقافة والهوية*. (حامد محسن، مترجم). دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

Burke, P. J., & Stets, J. E. (2009). *Identity theory*. New York: Oxford University Press.

Cifrić, I., & Nikodem, K. (2006). Socijalni identitet u Hrvatskoj: Koncept i dimenzije socijalnog identiteta. *Socijalna ekologija: časopis za ekološku misao i sociologijska I straživanja okoline*, 15(3), 173-202.

Onyeibe, A. D. (2017). *Globalization and Discursive constructions of identity in Two Generations: The Igbo People of Nigeria* [Doctoral dissertation]. University of Central Lancashire.

Robinson, D.T., Smith-Lovin, L., Zhao, J. (2020). The Role of the Other: How Interaction Partners Influence Identity Maintenance in Four Cultures. In: Serpe, R.T., Stryker, R., Powell, B (eds), *Identity and Symbolic Interaction* (pp. 213–237). Springer International Publishing.

Serpe, R. T., & Stryker, S. (2011). The symbolic interactionist perspective and identity theory. In Schwartz, S. J., Luyckx. K., Vignoles, V. L (eds), *identity theory and research* (pp. 225-248). Springer New York.

Serpe, R. T., Stryker, R., & Powell, B. (2020). Structural symbolic interaction and identity theory: The Indiana school and beyond. In: Serpe, R.T., Stryker, R., Powell, B (eds), *Identity and Symbolic Interaction* (pp. 1-33). Springer International Publishing.

Spears, R, (2011), Group Identities: The Social Identity Perspective. In Schwartz, S. J., Luyckx. K., Vignoles, V. L (eds), *identity theory and research* (pp. 201–224). Springer New York.

Stets, J. E., & Serpe, R. T. (2013), Identity Theory. In: DeLamater, J., Ward, A (eds), Handbook of Social Psychology. *Handbooks of Sociology and Social Research* (pp. 31-60). Springer Netherlands.

Stets, J. E., Savage, S. V., Burke, P. J., & Fares, P. (2020). Cognitive and behavioral responses to the identity verification process. In: Serpe, R.T., Stryker, R., Powell, B (eds), *Identity and Symbolic Interaction* (pp. 65-88). Springer International Publishing.

Stryker, S. (2002 [1980]). *Symbolic interactionism: A social structural version*. Caldwell, NJ: The Blackburn Press.

Stryker. S, Burke. P (2000), The Past, Present, and Future of an Identity Theory, *Sociology Social Psychology Quarterly*, *63*(4), 284-297.

Suls, J., & Wheeler, L. (2013). *Handbook of social comparison: Theory and research.* Springer New York, NY.

Thoits, P.A. (2020). The Relationship Between Identity Importance and Identity Salience: Context Matters. In: Serpe, R.T., Stryker, R., Powell, B. (eds), *Identity and Symbolic I nteraction.* (37–63) Springer International Publishing.

Vignoles, V.L., Schwartz, S.J., Luyckx, K. (2011). Introduction: Toward an Integrative View of Identity. In Schwartz, S. J., Luyckx. K., Vignoles, V. L (eds), *identity theory and research.* (pp. 1–27). Springer New York.